عماد الجلاصي

أديب وكاتب أطفال ١٩٧٠ـ

أ. هيام حمدى العنانى

كبير باحثين بمركز توثيق وبحوث أدب الطفل

عماد الجلاصي كاتب تونسي من مواليد ١٩٧٠/٩/١٤ بتونس العاصمة، متخصص في أدب الطفل، وأستاذ تعليم ثانوي تخصص لغة عربية، متزوج وأب لثلاثة أطفال، بدأ رحلته مع القصة مشافهةً من خلال القصص التي ترويها نساء العائلة، وبعدها في نادى الطفولة بالحي الذي يسكن فيه من خلال إحدى السيدات النشِطات والتي كانت تروي لهم القصص يوميًا لمدة ساعة على الأقل وكان لها قصّ عجيب، ثم تطورت العلاقة مع هذا الأدب في المدرسة في حصص المطالعة بتبادل الكتب.

نُشِرت له أول قصة سنة (١٩٩٠) في مجلة الأطفال التونسية "عرفان" بعنوان "رشيق والمحتال"، ثم انضم إلى أسرة تحريرها (متعاون)، ونُشِر له العديد من القصص والأشرطة المصورة.

هو كاتب يحمل بين جوانحه ذلك الطفل المدهش الذي نبت على روائع الحكايات التي قام بنسجها نسوة العائلة، حكايات لها أجنحة ملوّنة استطاعت أن تحلّق به في الآفاق البعيدة،

ولأنه طفلٌ مهيأ لأن يصبح يومًا ما أحد الحكائين المهرة الذين بمقدورهم أن ينسجوا من حبات الروح إبداعات طازجة ومبهجة تخفق كما العصافير الملونة لتطرح أغنيات للبراءة، والسعادة والحياة بوجهها الوضيء، فقد صار لصيقًا لصفحات الكتب يمارس عشقه الدائم ويحلم بأن يصبح يومًا ما أحد المبدعين الذين يُشار إليهم بالبنان والقلوب أيضًا.

إنه أحد المبدعين المخلصين الذين أضافوا إلى مكتبة الطفل العربي العديد من الأعمال الإبداعية، كما شارك في تأسيس وإعداد أكثر من مجلة موجهة للأطفال، فضلاً عن عمله كمعلم ثانوى، مما منحه الفرصة للتعامل عن كثب مع مرحلة من أهم مراحل الطفولة، وهى مرحلة اليافعة، والتي تتطلب مهارة في التعامل والكتابة أيضًا.

الأديب ـ كما هو معروف ـ ابن بيئته، تسهم في تكوينه وتشكيل ملامحه من حيث المكان، الشخصية، المواقف والأحداث، ونرى هنا تأثير البيئة المحيطة بالمبدع وكاتب الأطفال عماد الجلاصي؛ فقد نشأ في منطقة تُسمّى "باردو" بالعاصمة التونسيّة، فيها مجلس النواب ومتحف الآثار التونسية على مر العصور وحديقة الحيوانات، وهى عوالم تجذب كل طفل، ودارٌ للشباب فيها مختلف الأنشطة الثقافية، وقد تعلق بالمسرح والرسم والتصوير الفوتوغرافي. من هذه البيئة التقط الكثير من التفاصيل وطوّعها عند الكتابة.

عَرف أدب الطفل في تونس مرحلة التأسيس في الستينيات من القرن العشرين، ومرحلة الانتعاش والازدهار في السبعينيات، ومرحلة التراجع والركود إلى حدود الألفية الثالثة، وتشهد هذه المرحلة انتعاشة طيبة لعدة عوامل، منها: تغيّر نظرة الكُتّاب والروائيين الذين توجّهوا لليافعين بكتاباتهم، واهتمام الجامعيين به سواء في لجان التحكيم أو النّقد، ومن هؤلاء الكتّاب: المرحوم محمد الفاضل بن سليمان، وحافظ محفوظ، والميزونى البنانى، ونافلة ذهب، وإبراهيم الدرغوثى، ومحمد آيت ميهوب.

وعن أهم المجلات التونسية وإلى أى مدى استطاعت أن تُعلن عن نفسها في محيط الطفل، فيبين أن أغلب المجلات التونسية واجهت صعوباتٍ جعلتها تختفي واحدة تلو الأخرى، ثم بدأت الآن العودة لأعرق مجلة وهى "عرفان اليوم"، وظهور مجلة جديدة اشتركت فيها المؤسسة الأمنية معه هو والرسام "رضوان الرياحـــى"؛ لتقريب رجل الأمن

للطفل وبناء ثقافة تواجه التّطرّف والإرهاب، وقد لقيت قبولاً فاق التوقعات عند الجمهور التونسي خاصة في معرض الكتاب الأخير بتونس.

ومن أهم القضايا التي تشغله دومًا كأحد المهتمين بأدب وثقافة الطفل، مشكلة غياب النقد الذي يهتم بأدب الطفل؛ لأن الكاتب يحتاج إلى تطوير أدواته، والناشر إلى تعديل بوصلته في اختيار النص الجيد وتقدير الكاتب المبدع، والقارئ والمربي سينتبه إلى جيّد الأعمال، وهذا هو الهدف، وعلى أغلب دُور النشر أن تعتمد على لجنة قراءة تتجاوز مجرد التدقيق اللغوي لتراجع مستويات مختلفة، فبعض الخفايا والتفاصيل تحتاج إلى خبراء متخصصين، كذلك من الحرفية تحديد الفئة العمرية على كل قصة وما يناسبها شكلاً ومضمونًا بإيجاز حتى يُستأنس بها عند الاختيار، أما على مستوى الشكل والإخراج نلحظ في السوق قصصًا جيدة برسوماتٍ مشوهة، وأخرى لوحات رائعة بنصوص ضعيفة، فالتقاء "الكاتب" "بالرسام" إنجاز يُحدِث الفارق بين دُور النشر.

يرى الكاتب أنه من المؤكد أن ثمة فروقًا لافتة بين "طفل الأمس وطفل اليوم"، و"كاتب الأمس وكاتب اليوم"، فكاتب اليوم يواجه تحديًا أكبر من كاتب الأمس لجذب الطفل إلى الكتاب والمطالعة، فطفل الأمس يكتفي بها لأنها وسيلته الوحيدة، أما طفل العصر الرقمي والألعاب والكرتون والعوالم المدهشة بأحدث تقنيات الإبهار، فإنه لا يأتيك إلا إذا كنت قادرًا على جذبه وإبهاره بكل التقنيات الحديثة، وهذا ما لمسه عند اللقاءات في المدارس والورش في المعارض، وعلى الكاتب أن يفرض وجوده ويجتهد بنفسه وإمكاناته للوصول إلى الطفل.

أما عن أفكاره، فإنه يلتقطها من واقعه بعالمه الحقيقي والافتراضي، فكل ما يسمعه أو يشاهده يمكن أن يكون قصة، يلتقط منه ما يوافق ذوقه ومزاجه وحدسه من خبرته، ليعيد إنتاجه بلعبة يستمتع بالقيام بها، ثم يشكلها أحداثًا ولغة وشخصيات، ويعرضها على دائرته الضيقة، العائلة ثم الأصدقاء ليختم ببعض تلاميذه من الأطفال، فالقصّ ورشة نحتاج فيها إلى الاستشارات.

وعن الإعلام ودوره في تحقيق الغاية الإبداعية وتسويق المنتج، وتلميع الكاتب، واجتذاب القارئ، والطرق التي ينبغي اتخاذها في هذا الشأن، فيرى عماد الجلاصي أن دُور النشر الغربية منذ سنواتٍ ترفض التعاقد مع كُتّاب لا يملكون صفحة في مواقع التواصل

الاجتماعي؛ لأنها تدرك قيمة حضور الكاتب وتأثيره في القرّاء الذين لا يكتفون بالمنتج، بل بصاحبه أيضًا، "باولو كويلو" مثلاً له قرابة (٢٠) مليون متابع في صفحته على الفيس بوك، لذلك لا مفر لكاتب الطفل من التفاعل مع الإنترنت وعرض مشاغله وإنتاجه في هذا الفضاء، وقد نجح نسبيًا من خلال صفحته وصفحة فريق أدب الطفل في الفيسبوك أن يجعل أدب الطفل من اهتمامات أصدقائه، كما أن التحرك الميداني من خلال لقاء الأطفال بدلاً من التقوقع في الصالونات والندوات المغلقة مهمٌ جدًا، وعلى الكاتب أن يطور نفسه ووسائل اتصاله بالطفل.

وبالنسبة للمحاذيرعند الكتابة للطفل، فهى محاذير متفق عليها: كالسخرية من اللون، والدين، والعاهات، وتمجيد العنف والتّطرف، وتوظيف الجنس والممنوعات كالمخدرات، هذا هو الخط الأول، وتوجد محاذير أخرى: كبثّ روح اليأس والعجز والتشاؤم، أو تحقير صورة المرأة وامتهانها بتقليص دورها وشيطنتها أحيانًا، وغيرها من المحاذير التي تتعارض مع تكوين شخصية الطفل الذي نريده، وهذا الأمر يحتاج إلى معالجة نقدية.

إنتاجه الأدبى:

الكتب التي أصدرها:

- كوكبي.

- كتاب رحلة أمَية.

- محميّات بلادي.

- كان يا ما كان.

- أشجار وشجيرات من تونس.

إصدارات حديثة:

- الأسد المخلوع.

ـ أحذية بلا أقدام.

ـ قصة سجع البجع للأطفال ـ ٢٠١٨.

المجلات التونسية التي تعامل معها:

ـ كان من الفريق المؤسِّس لعددٍ من المجلات التونسية.

ـ قوس قزح من ١٩٩٢ـ ١٩٩٦.

ـ سكرتير تحرير ومؤسس ومحرر أول لمجلة "فراشة" ١٩٩٧ـ ١٩٩٨.

ـ نائب رئيس تحرير ومؤسس ومستشار لمجلة "فراشة" ٢٠٠٧ـ ٢٠٠٨.

ـ سكرتير تحرير ومؤسس ومستشار لمجلة "طفولة" ٢٠١٢ـ ٢٠١٣.

ـ سيناريست في مجلة "مجلتي" ٢٠١٥.

وفي العالم العربي له مشاركات في العديد من المجلات:

ـ مجلة العربي الصغير الكويتية منذ ٢٠٠٨ وإلى الآن.

ـ مجلة يزن الفلسطينية.

ـ مجلة أزاهير الليبية ببنغازي.

ـ مجلة مهدى اللبنانية.

ـ مجلة النقب الفلسطينية.

ـ مجلة بيئتي الأردنية.

مشاركاته مع وزارة البيئة التونسية ووكالة الوطنية لحماية المحيط:

- قصة كان يا ماء... كان، ١٩٩٥.

- قصة رحلة أمَية، ١٩٩٦.

- قصة أبو سعيد والكساحة، ١٩٩٧.

- قصة الأوزون، ١٩٩٩.

- قصة البلاستيك، ٢٠٠٠.

- حكاية الماء، ٢٠٠٢.

إصدارات أخرى:

- سلسلة أحسن القصص: (٢٤) قصة من قصص الأنبياء، مع دار النشر شمس، ٢٠١٠.

- قصة الأسد المخلوع، ٢٠١١.

- قصة أحذية بلا أقدام، مع دار النشر كتابي.

لقاءات إذاعية:

- إذاعة: تطاوين- صفاقس- المنستير- الثقافية- الشباب.

المشاركة في المعارض والورش:

- معرض صفاقس لأدب الطفل.

- ورشات كتابة في معرض تونس الدولي للكتاب دورتي ٢٠١٨/٢٠١٧.

- برنامج دبي الدولي لأدب الطفل في تونس ٢٠١٨.

الجوائز والأوسمة التي حصل عليها:

- جائزة الحقيبة البيداغوجية للمربي والبيئة باللغة العربية ايكولف٢٠٠٢.

- الجائزة العربية مصطفى عزوز لأدب الطفل عن قصة لليافعين ٢٠١٩/٥/٤.